خطبة (عظمة الله) للشيخ الشهيد محمود اغاسي أبو القعقاع رحمه الله
.. تضمنت الخطبة مواعظ كثيرة وقصص للتذكرة قمنا بترتيبها على شكل نقاط لسهولة الوصول
.. ما بالنا .. عجزنا عن ان نقود قلوبنا الى الله .. ونحدو السير بأرواحنا الى الله 1.
ما بالنا .. تمر علينا نفحات الله في دهره .. وتتعاقب علينا مواسم العطاء والربح الالهي والهدايا الالهية 2. العلوية والتحف السماوية الربانية .. ولكننا لا نحسن التجارة مع الله .. حتى رأس المال نفقده ونضيعه
ما بال هذه الانفس لم تتزكى .. ولم تأخذ طريق هداها .. ما بال هذه العقول معاييرها مقلوبة .. مقاييسها 3. منكوسة معكوسة .. فما عادت تميز بين خطأ وصواب .. ولا بين نور وظلمة ..ولا بين حق وباطل .. ولا بين ربح وخسارة .. ولابين فان وباق .. فاستبدلنا االذي هو اعلى واغلى بالذي هو ادنى .. واستبدلنا الباقيات الصالحات .الخالدات المخلدات بالفانيات الزائلات الرائحات الغاديات
ما بالنا؟ اعطينا للنفس عنانها اطلقناه فبدأت تسير على هواها يمنة ويسرة .. تتخبط خبط عشواء .. وتسير 4. .تيه عماء .. ترتع في اماكن الشهوة واللذة والمتعة .. وتهرب هروبا سريعا من رياض الجنة ومن الرتع فيها
.. ما بالنا ؟ ثكلة الطين جذبتنا الى الارض .. وكثافة الجسد حجبتنا عن السماء وعن العلياء وعن الاستعلاء 5.
رمضان يكاد يودعنا راحلا .. ايامه لياليه خيراته رحماته مغفراته بركاته اسراره انواره .. انها ترحل يا 6. سادتي .. والناس هم الناس .. لم تتغير اخلاق ولم تتبدل طباع .. ولم تصفو قلوب ولم تزكو انفس .. ولم تتصافح ايدي ولم تتصالح قلوب .. ولم تتواصل ارحام .. ولم يتعاض الجيران .. ولم تنتهي عداوات ولم تنقضي .. نزاعات
الناس هم الناس .. جاهلية مستحكمة وعنصرية مسيطرة .. وقبلية وعشائرية منتنة .. نتعصب لها ولدوائرها 7. .. الضيقة
الناس هم الناس .. في غفلة عما يراد بهم .. وما يراد بهم كثير .. وزحف العدو صار على الابواب .. يهدد 8. الاعراض في غرف نومنا .. يهدد اجيالنا وذرارينا .. يهدد ما تبقى من كرامة وعزة واباء .. يهدد الارض والعرض .. والمقدس
.. الناس هم الناس .. لا يتراحمون .. لا يتغافرون .. لا يتصالحون .. لا يتصافحون 9.
مابالنا؟ مازلنا نألف عارنا .. ونفلسف ذلنا وشنارنا .. ومازلنا ننظر بعين حولاء او عمياء الى واقع مر .. 10. جراحنا فيه غائرة .. ودمائنا فيه متناثرة .. واخواننا يقتلون ويذبحون في كل مكان .. قضيتنا ما عاد لها عنوان .. وهويتنا ما عاد لها وضوح .. وهمومنا وغمومنا تنصب في الدوائر الأنانية الشخصانية بعيدا عن دائرة الامة .. وماتعاني الامة وما تلاقيه
ما بالنا ؟ القلوب لا تخشع ! والعيون لا تدمع ! والجوارح لا تخضع ! ما بالنا ما بالنا؟ ننشغل بالشكليات 11. ونقضي الأوقات في الهامشيات .. أما القضايا المصيرية فلا تكاد تذكر .. وأما الأمور العظيمة فلا تكاد تستحضر !
ما بالنا؟ واقع اسرنا هل تبدل؟؟ هل بدأنا بالأسر نبني اجيال القرآن ونربي ذراري على حب محمد صلى 12. الله عليه وسلم ! هل خلال رمضان تبدل واقع اسرتنا فصارت فيه حلق القرآن وضاءة نوارة .. وصارت مجالس السيرة والسنة وبدأنا نتذاكر الاخرة وما فيها وبدأ الاب يقوم بواجب الرعاية على ابناءه واسرته؟ أم أنه لم يزدد في أسرنا إلا متابعة المسلسلات والملهيات والمسابقات والاطعمة والاشربة والخيمات الرمضانية؟
ما بالنا ما بالنا؟ أوعجزنا عن أن نقود قلوبنا الى الله ؟ وإذا عجز العبد عن مثل هذا فكيف يرجو فلاحا 13. !وكيف يرجو نجاحا؟
لماذا لا نتغير ؟ لماذا لا نتبدل؟ لماذا لا نتحسن لماذا لا نتأثر لماذا لا نتطور ؟ لماذا لا نعود على مقاييس 14. السماء ولماذا لا نتعلق بحبال السماء ولماذا هذا التشبث بطينة الأرض الفانية الزائلة ؟ الاسباب في ثلاث .. : والعلة تكمن في ثلاث
أول الأمر .. لم نعرف أنفسنا بعد لأن المصطفى عليه الصلاة والسلام قال: (من عرف نفسه عرف ربه) 15. ولكننا لم نعرف ضعفها .. أو لا نريد أن نعترف بضعفها .. ولا بعجزها ولا بجهلها ولا برخصها ولا بفنائها ولا بتفاهتها .. البعض منا مازال محجوبا بلباسه وشكله وجماله ورونقه ! البعض منا مازال مغرورا بأمواله وقصوره وسياراته ومراكبه الفارهة ! البعض منا مازال مغرورا بمناصبه ورتبه ونياشينه ! البعض منا مازال مغرورا بقوته وصلفه واتباعه وعشيرته ! البعض منا مازال مغرورا بعلمه بفكره بشهاداته باختراعاته ! كلنا مغرور .. وأنفسنا .. لم نكتشفها بعد .. فنحن محجوبون عنها (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)
الم تسمع نداء ربك لك .. (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك * في اي 16. صورة ما شاء ركبك) ما غرك بالذي خلقك ؟ بالذي شق سمعك وبصرك؟ بالذي اصطفاك واجتباك وبرعايته

تولاك .. ومن كل خير اعطاك .. مازلنا محجوبين بأنفسنا لم نعرفها بعد.
17. الم تسمع ربك يعاتبك ويأنبك ويزجرك ويحذرك (قتل الانسان ما أكفره * من أي شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره) أولك نطفة قذرة .. وآخرك جيفة نخرة .. وأنت بينهما تحمل العذرة .. ربك يقول قتل الانسان ما اكفره ! نسي أصله؟ نسي من اين خرج؟ نسي أين تكون؟ يناديك ربك يمننك ينبهك (الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين * وهديناه النجدين) أين عينك لم لا ترى بها الحقيقة؟ أين أذنك لم لا تسمع بها الحقيقة؟ أين لسانك لم لا تنطق به الحق والصواب يا ابن ادم يا ابن التراب ! ومأكول التراب غدا اقصر .. فإنك مأكول ومأمول .. كل ابن انثى وان طالت سلامته .. يوما على الة حدباء محمول !
18. يا هذا فتش نفسك جيدا .. من أنت؟ كتلة من لحم وعظام تفنى وهي طعام الدود يوم ما ! من انت الان؟ مهما تزينت باثوابك .. ومهما احاط بك اتباعك .. ومهما جلست في بروجك العاجية وحرسك الاجناد ! من انت؟؟ الصنان في اذنيك ! المخاط في انفك ! البساق في فمك ! الدم في عروقك ! القيح تحت بشرتك ! البول في مثانتك ! الغائط في امعائك ! من انت؟ الطاووس اجمل منك ! والعقرب على صغره اقوى منك ! والفيل اكبر منك ! من انت؟ يامن تقتلك شرقة ! وتؤذيك بقة! من انت؟ لماذا انت مغرور؟ وعن ربك كيف تحجب بنفسك هذه الضعيفة الفانية الزائلة !
19. اين انت من ابي بكر .. ابو بكر الصديق صاحب رسول الله .. الذي نزلت آيات السماء بالثناء عليه تترى متعاقبة .. يدخل يوما الى بستان لاحد الانصار ومعه الصحابة .. فيرى طائرا يصير من غصن الى غصن ويحط من شجرة على شجرة .. فيهوي على الارض باكيا فيقول : ياليتني كنت انت ايها الطائر ! اعيش الدنيا اتنقل بين الاشجار والازهار والثمار ثم اموت لا حساب ولا عذاب ولا عقاب! أما أنت فقد نجوت ! أما ابن ابي قحافة من ينجيه ! ابو بكر يحاسب نفسه !
20. عمر يجلس امام الناس وقد رآهم وقد ازدحموا عليه ! فحدثته نفسه بشيء من الظهور والعظمة .. فخر على رجليه جاثيا قال يا ابن الخطاب كنت عمير وصرت عمر ! كنت راعي رم وصرت امير المؤمنين ! يا ابن الخطاب اتق الله فإن لم تتق الله قصمك الله يا عمر !
21. حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا .. وزنوا اعمالكم قبل ان توزن لكم .. لأن البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت واعمل ما شئت فكما تدين تدان .. انظروا انفسكم فتشوها ارجوكم .. اكتشفوا ضعفها وعجزها وفنائها ..
22. أين الملوك اين السلاطين .. يوم القيامة يأمر الله عز وجل قبيل يوم القيامة اسرافيل .. يقول : انفخ نفخة الفزع .. فينفخها فيفزع من في المساوات ومن في الارض ويصعقون .. فيتجلى الله على الدنيا وقد نسفت جبالها وجفت بحارها واحترقت اشجارها وتكورت شمسها وانكدرت نجومها .. ولم يبق فيها معلم لأحد والكل ميت .. فينادي : لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيب احد ! ينادي لمن الملك اليوم ؟ فلا يجب احد ! ثم يجيب نفسه في الثالثة لله الواحد القهار ! فتشوا انفسكم وكفاكم غرورا بها .. كفاكم احتجابا بها .. من عرف نفسه عرف ربه ..
23. الأمر الثاني تذكر الموت وما بعد الموت .. تذكر ساعة الموت .. كم سنعمر كم سنعيش.. مهما طال الليل لابد من الفجر .. ومهما طال العمر لابد من القبر .. وكفى بالموت واعظا .. اموالنا لذوي الميراث نجمعها .. ودورنا لخراب الدهر نبنيها .. اين الملوك التي كانت مسلطنة .. حتى سقاها بكاس الموت ساقيها ! الموت .. كانت الدنيا لناس قبلنا .. رحلوا عنها وخلوها لنا .. هكذا نحن نكون بعدهم نرتحل عنها ويأتي غيرنا .. ولدتك أمك يا ابن ادم باكيا والناس حولك يضحكون سرورا .. فاحرص لنفسك ان تكون اذا بكوا في يوم موتك ضاحكا مسرورا .. الموت .. البعيد القريب .. الغائب الحاضر .. وهو اقرب اليك من الوريد واقرب اليك من شراك نعلك .. الموت .. كم من انسان اصبح فلم يمسي وكم من انسان امسى فلم يصبح .. وكم من انسان بات ليلته مغرورا مسرورا فلم يطلع عليه صباح !
24. عمر ابن هبيرة صار والي العراقين .. فقال من اعلم من في البلاد .. قالوا الحسن البصري وابن سيرين والشعبي .. قال ايتوني بهم .. فجاؤوا .. قال قد صرت واليا لأمير المؤمنين يزيد ابن عبد الملك على العراقين .. وإن الأمر ياتيني من الخليفة فأنفذه وفيه اصابة دم او اصابة مال او اصابة عرض , فهل علي تبعة امام الله؟ تكلم الشعبي بكلام فيه تقية , وتكلم ابن سيرين بكلام فيه محاولة نجاة .. أما الحسن البصري فكان مطرق .. فقال يا ابا سعيد ما تقول انت؟ فرفع راسه , قال يا عمر يا ابن هبيرة .. خف الله في يزيد ولا تخف يزيدا في الله .. يا ابن هبيرة ان الله يمنعك من يزيد لكن يزيدا لن يمنعك من الله .. يا ابن هبيرة يوشك ان ياتيك ملك فيزيلك من على سريرك ويحولك من سعة قصرك الى ضيق قبرك , وهناك لن تجد يزيدا امير المؤمنين ولن تجد من ولاك , ولكنك ستجد الله فيوفيك حسابك .. فاتق الله قبل أن يأخذك يا ابن هبيرة .. فبكى وخشع وانا

.. الى الله وتذكر
25. الموت كيف نسيناه , كيف غفلنا عنه , وكل يوم مر يقربك امتارا من قبرك ويباعدك عن دنياك اشبارا , الموت كيف يغفل عنه وهو لا يغفل عنا وكيف ننساه وهو يلاحقنا .
26. وثالث الاسباب في عجزنا ان نتغير او نتبدل .. عدم استحضار عظمة الله .. اننا لا نستحضر عظمة الله ابدا ابدا .. بل نسمع الله كلمة تتردد قد لا تحدث فينا من الاثر رهبة و رجاءا كما تحدثها كلمة لاحد المخلوقين .. ان يكون مسؤولا او حاكما او ملكا او اميرا او رئيسا .. ربما اذا ذكر اسم هذا المخلوق الفاني ترتعد قلوب وتأمل وتنتفض افئدة وترجو , اما ان يذكر الله (اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) اين هم؟ (يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق المساوات والارض) لو كانت عظمة الله في قلوبنا لما سحقتنا الشهوات .. لو كانت عظمة الله في قلوبنا لما اسرتنا النزوات .. لو كانت عظمة الله في قلوبنا لما غلبنا عدو وكسرنا جبار متغطرس يحتل ارضنا عيانا ويدنس مقدسنا جهارا .. لو كانت عظمة الله في قلوبنا لما كانت هذه احوالنا .. لما هزمنا امام النفس الامارة .. ولا امام شياطين الجن والانس ولا امام الاهواء والاراء .. لو كانت عظمة الله في قلوبنا لما اختلفنا ولا تخاصمنا ولا تباغضنا .. لو كانت عظمة الله في قلوبنا لملأنا المساجد في الفجر كما نملأها الان في الجمعة (ولمن خاف مقام ربه جنتان) , (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى) .
27. اين استحضار عظمة الله اين؟ لو هناك استحضار لعظمة الله لرأينا دمعات في العتمات , وسجدات في الظلمات , ودعوات في الاسحار , ومناجاة وخشوع وخضوع وذكر وتفكر واستغفار , لو كانت عظمة الله في قلوبنا لما كانت هذه احوالنا .. اين عظمة الله فينا؟
28. اشتعلت نار في عهد عمر فطوقت المدينة وكادت ان تحرقها .. فأسرع ابن الخطاب الى تميم الداري فقال يا تميم النار النار تأكد بيوت المدينة أخرج لها يا تميم , فيقول تميم : دعني يا عمر , من تميم وما تميم لا تفضحني امام الناس , يقول النار النار ليس لها سواك يا تميم أخرج لها , فخرج تميم يلم عباءته يقف في وجه النار , يقسم كل من رأى , فيزمها بيديه فتتراجع بين يديه كما تتراجع الافعى الى جحرها حتى ادخلها بين جبلين حول المدينة ثم دخل وراءها فانطفأت ! ودخل عمر وراءه ثم خرج وهو يكبر ويقول الله اكبر ليس من رأى كمن لم يرى .. استحضر عظمة الله فتدانى له كل شيء حتى النار ! أوليست قلوبنا كقلوبهم؟ فما بالنا يا سادة؟ اين استحضار هذه العظمة ؟ يوم نفقدها فنتجرأ على الذنب يكسرنا الله .
29. ارسل عمر سرية يوما فقاتلت اعداء الله ثم عادت فسألهم عمر : متى لقيتم العدو؟ قالوا عند الصباح , قال متى انتصرتم عليهم؟ قالوا عند العصر , فبكى عمر وقال انا لله وانا اليه راجعون ما كان للكفر ان يصمد امام الايمان من طلوع الشمس الى العصر لولا ذنوب فعلتموها بالخفاء ! الكفر لا يصمد امام الايمان من الصبح الى العصر فكيف اذا انكسر المسلمون امام اهل الكفر اعواما فعقودا ثم قرونا ! اذن اين عظمة الله في قلوبنا؟
30. خرج يوما الناصر ايوب حاكم مصر خرج متبخترا بجنده واتباعه وحاشيته , فمر العز ابن عبد السلام فرأى هذا المشهد والناس تقبل الارض بين يدي الناصر ايوب , فصاح به امام الناس : يا أيوب , فالتفت , قال يا ايوب اتق الله وراقبه في مقامك والا اخذك اخذ عزيز مقتدر .. فأطرق ايوب راسه قال نعم يا شيخنا نفعل .. فالتف الناس حول العز بن عبد السلام وقالوا : ما الذي حملك على هذا حب شهرة ام حب ظهور ؟ قال لا والله انما رأيت نفسا تعاظمت على صاحبها فخفت عليه النار .. فأردت أن أذكره لأنجيه منها وأدخله الجنة .. انظر النوايا الصادقة .. اين الحكمة يا امام كدت ان تهلك ! قال ويحك اتظن ان الحكمة ان تنجوا بنفسك وتسكت عن باطل؟ ان الحكمة ان توصل الحق الى من تريد ايصاله اليه باقرب طريق .. قال ثالث : والله لقد خفنا عليك الموت .. إني أهون عند الله من أن يتخذني شهيدا .. فقال اخر اما خفته يا عز؟ استحضرت عظمة الله في قلبي فرأيته امامي كالقط .. استحضرت عظمة الله فلم ار احدا ..
31. احمد ابن بنان عالم جليل كان في عهد ابن طولون حاكم مصر .. سعوا به بوشاية كاذبة الى ابن طولون فجاؤوا به مقيدا في اصفاده , قال يا ابن بنان أوتجرأت علينا؟ قال لم افعل , لكن حتى وإن تجرأت عليك انما عبد يتجرأ على عبد , أونسيت نفسك يا ابن طولون بأنك تجرأت على الواحد الاحد؟ تجرأت على الله .. اذا اخذتني الان وانت قادر سيأتيك يوم يأخذك الله وهو قادر .. قال ارموه في السجن فرموه .. قال جوعوا له سبعا فجوعوه سبعة ايام , قال ادخلوه عليه حتى يأكله وهو حي .. فأدخلوا السبع على ابن بنان واغلقوا الابواب وفتحوا كوة ينظرون منها الى الداخل وابن بنان في صلاته مرتبط بربه مستحضرا عظمته .. واذا بالسبع يقبل ثم يدبر .. يدور حوله ويزأر .. ثم به يقعي بين رجليه كالقط الوديع ويلعق رجل ابن بنان وهو واقف بين يدي الله .. جاء ابن طولون ينظر هذا المشهد فأخرجه وقبل يده , قال يا ابن بنان سألتك بالذي اكرمك بماذا كنت تفكر ..

والسبع يدور حولك ويلعق رجلك؟ قال والله ما فكرت الا بشيء واحد اقلقني وانا في الصلاة , هل لعاب السبع نجس ام طاهر خشية ان تنقطع صلاتي لأن هذه مسألة مامرت علي! ايها الناس اين عظمة الله في قلوبنا؟ لو استحضرنا عظمة الله لما هزمنا اخوان القردة والخنازير .. لو استحضرنا عظمة الله لما غلبتنا اميركا وقهرتنا وتقتل كل يوم المئات في العراق بالمجان .. لو استحضرنا عظمة الله لما حوصرنا , لما جوعنا , لما ذللنا , لما هنا , لو استحضرنا عظمة الله لأعدنا بدر في ذكرى بدر , لأعدنا فتح حطين واليرموك وعين جالوت , لو استحضرنا عظمة الله لانتصرنا انتصارا كبيرا ..

32. في عين جالوت وقف المظفر قطز بالقليل من المماليك يواجه جيوش التتار الزاحفة , واذا بالتتار يرسمون خطة لاغتيال المظفر قطز , قالوا اذا ضربنا الراس ضربنا الجيش , زوج المظفر قطز الاميرة جلنار ترقب من على برج من ابراجها الساحة , نظرت واذا باثنين من التتار يتسللان بزي الجيش المسلم يقتربان من المظفر يريدان اغتياله فلبست لئمة الحرب وشدت عليها حزامها وتلثمت واستلت سيفها ونزلت تعدو نحو العدو كلبوة تزأر وتصرخ يا سلطان المسلمين صن نفسك من سكين الغدر ولكنه لم يسمع فوصلت والتتاري يهم بضرب المظفر فضربت الاول فقتلته وعاجلت الثاني فأصابته لكنه اصابها في صدرها فخرت صريعة , فنزل المظفر فقال لله درك ايها الملثم من انت انقذت حياتي؟ قال بل انقذت المسلمين , كشف اللثام فإذا بها زوجه الاميرة المحبوبة المدللة المعشوقة فصاح وا زوجاه وا حبيبتاه !! اتدرون بماذا اجابت؟ قالت لا تقل وا زوجاه لا تقل وا حبيبتاه بل قل وا اسلاماه وا محمداه , قل وا اسلاماه يا مظفر ثم ماتت .. فرمى خوذته ونزع درعه وصاح بأعلى صوته وا اسلاماه وا محمداه .. ثم كر على التتار وكر الاجناد معه فهزموهم شر هزيمة وكان النصر في عين جالوت .. أمرأة استحضرت عظمة الله فسببت نصرا .

33. القائد المظفر حبيب يودع زوجته في احدى معاركه مع الروم فقالت له في الخيمة : اين اللقاء يا حبيب؟ فقال لها في أحد مكانين , اما في خيمة قائد الروم واما في الجنة .. ونزل الى المعركة واثناء المعركة اذ بفارس ملثم .. ينقض بين الروم يقاتل قتال الابطال حتى يصل الى قائد الروم فيضربه بسيفه فيبتر عنقه , فيأتيه القائد حبيب فيقول له من أنت وكيف سبقتني اليه؟! فتكشف اللثام فاذا بها زوجه فتقول ها قد التقينا في خيمة قائد الروم يا حبيب .. اولئك ابائي فجئني بمثلهم .. اذا جمعتنا يا جرير المجامع .. استحضروا عظمة الله تجدون نورا ونصرا وعزا وتمكينا .. استحضروا عظمة الله تربحونها دنيا واخرى .. اللهم هل بلغت اللهم فاشهد .. اللهم فاشهد .. اللهم فاشهد .. اقول قولي واستغفر الله